Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣ ـ ديوان الرسائل:

منذ أنشأ معاوية هذا الديوان، والكتابة الإنشائية تنحو نحو الكمال. ثم كانت وثبتها الكبرى في أخريات العصر على يد الموالي كما ذكرنا.

غير أن دواوين بني أمية كانت ضيقة المجال، محدودة الغرض، قليلة الرسائل مقيدة الأقلام، ومن ثم لم تظهر شخصية الكتاب إلا في عهد هشام الذي منح ديوانه بعض الاستقلال لمزيد ثقته في كاتبه ومولاه «سالم». ومن ذلك الحين دخلت الكتابة في طور جديد تأصَّل على يد تلميذه عبد الحميد.

فلما جاء العصر العباسي ارتفع شأن الديوان، لكثرة أعبائه وعظم رسالته، وأصبح رئيسه وزيراً أو بمنزلة الوزير. وكان مستشارَ الخليفة ومستودع أسراره، ومن ثم اتجه الخلفاء إلى اختياره من أهل الثقة من ذوي قرابتهم، وبهذه الصفة كتب مروان بن الحكم لعثمان ومعاوية ويزيد ومع هذا فإن الرسائل لم تكن لتنفذ إلا بامضاء الخليفة أو بإقراره لها...

فلما اتسع الملك وكثرت الأعباء ـ وبخاصة في العصر العباسي ـ اضطر الخلفاء إلى أن يعهدوا بها إلى الثقات من أربابها وإن لم يكونوا من ذوي القرابة، ولم تكن أصول الموالي لتمنعهم من تسنم مناصبها وحاجة الخلفاء إليهم ماسة... غير أنهم ـ أي الخلفاء ـ كانوا يتحرون الدقة في اختيار كتابهم ـ أليست أمور الدولة أمانة في أيديهم؟ ـ ولهم في ذلك شروط خلقية وفنية لخصها الحسن بن سهل في كتابه إلى محمد بن سماعة القاضي[١].

(أما بعد، فإني احتجت لبعض أموري إلى رجل جامع لخصال الخير، ذي عفة ونزاهة وطعمة[٢]، قد هذّبته الآدابُ، وأحكمته التجارب، ليس بظنين[٣] في رأيه، ولا بمطعون في حسبه. إن ائتمن على الأسرار قام بها، وإن قلد مهما من الأمور أجزأ[٤] فيه، له سن مع أدب ولسان، تعقده الرزانة، ويسكنه

---

(١) ابو عبد الله محمد بن سماعة التميمي، ولي القضاء ببغداد وتوفي سنة ٢٣٣ (ابن النديم)
(٢) الطعمة: المكسب
(٣) الظنين: المتهم
(٤) أجزأ: أغنى